

## ثلاثية بابل قصص من العالم

أبرز ما يبقى من الشعوب هو حكاياتها، وخاصة تلك التي يدونها أديباؤها، حيث تتجاوز وظيفة التأريخ إلى التخيل، فالقصص التي نقرأها من هذه الحضارة أو تلك تمنحنا مجالا وأسعا لتخيل ملامح الحياة وإعادة تشكيلها بخيالنا، ومن ثم نفهم أجزاء ونحس بعناصر ما كان لنا أن نتنبه لها مع التأريخ العادي.

● مسقط - يسعى الكاتب والمترجم العماني خالد البلوشي في مشروعه "ترجم عبر قصص مترجمة"، الذي يتكون من ثلاثة كتب، "إلى ما قبل بابل، إلى ما بعد بابل، تقويض بابل"، إلى رصد التفاعلات الداخلية للغة حين تخرج من إطارها المحلي نحو ثقافات أخرى، وإلى رفد المكتبة العربية بمجموعة من الأعمال الإبداعية التي كتبت باللغة الإنجليزية، والفها عدد من المبدعين الذين ينتمون إلى دول تتخذ الإنجليزية لغة أم، أو لغة ثانية، أو لغة أجنبية.

الكتب الثلاثة، الصادرة عن الجمعية العمانية للكتاب والإدباء بالتعاون مع "الآن ناشرون وموزعون" في الأردن، جاء الجزء الأول منها "إلى ما قبل بابل" في مئتين وسبع وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، وحفل باثنتي عشرة قصة من أربع دوائر حضارية، مثلت أولها دولا غربية مثل أميركا وبريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزلندا، والثانية دولا أفريقية مثل نيجيريا وزامبيا، والثالثة دولا آسيوية مثل الهند وسنغافورة، بينما جاءت الرابعة من دول كاريبية مثل هايتي.

ورغم هذا الامتداد الجغرافي، مثلت المجموعة عالما أحادي اللغة (قبل بابلي)، في محاولة من البلوشي للحصول على "ثيمة" موحدة تكشف عن الطريقة التي تتطور بها اللغة، حين يمتد نطاق استخدامها إلى خارج الدائرة الضيقة التي تقصرها على الناطقين بها بوصفها لغة أولى لهم، وهو الشيء الذي ينقص المكتبة العربية بحسب البلوشي.

ويقول المترجم إن "هذا التنوع يأتي ليسد هذه الثغرة؛ فالمجموعة تقدم قصصا قصيرة من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأميركا والبحر الكاريبي، وتتوزع القصص على كتابين، يمثل "إلى ما قبل بابل" - أحادي اللغة - أولهما".

ويتابع البلوشي "هذا التوزيع هو عمل إجرائي في نهاية المطاف؛ لأن الإنسان سواء كان أحادي اللغة أم متعدد اللغات، يبقى غريبا ومنفصلا أينما كان، وكيفما كان. وماتى غربتنا هو إنسانيتنا، فنحن نفوس لا تتساق على منوال، ولا تطرد على حال".

أما الكتاب الثالث "تقويض بابل" والذي جاء في مئة وخمس وعشرين صفحة تتضمن تحليلا للكتابين السابقين، فيرى البلوشي فيه أن التشظي والاضطراب هما الأصل، أما الثبات والتماسك فهما اصطناع، وبهذين الأخيرين نأتي بتصنيفات على شاكلة "الآن والأخرى"، "الشرير والخير"، "المؤمن والكافر"، "الشرقي والغربي".

هذه الثنائيات ومثيلاتها ليست كتلا وجودية صماء بحسب البلوشي، وإنما هي "فروض مسبقة، إذا انعدمت انعدمتنا، وإذا وجدت وجدنا، على أننا نحن الأفراد إن كنا أثرنا لهذه الفروض فنحن بهذه الجدلية يوجد بعضنا بعضا، شأننا في ذلك أفرادا هو شأننا طوقسا وأعرافا".

والخلاصة - بحسب المؤلف - أن اختلافنا واختلاجانا وتارجحنا وتذبذبنا وخرفنا وبلبنا وهوسنا صوت كبت البس السعي من الأسماء، صوت إن أعرضنا سمعنا كان مهمازا لنا لأن نسلنا أنفسنا، مؤننين مؤننين إيانا على حولنا ذمنا وسلكا.

يشار إلى أن البلوشي أصدر مجموعة من الترجمات والأعمال الإبداعية والنقدية، مثل: "عُمان في عبور الرحالة البريطانيين"، "جندي في مسكن شهد الذكرة"، "استشراف التجربة العمانية في جواد"، "في القصيدة العمانية الحديثة، نحو نقد ثقافي"، "الرواية العمانية في ميزان النقد الثقافي"، و"سماوات دامية".

### خالد البلوشي يثبت من خلال الكتب الثلاثة أن التشظي والاضطراب هما الأصل، أما الثبات والتماسك فهما اصطناع

ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.

ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.



ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.

ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.

ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.

ويرى البلوشي أن منظومتنا الثقافية السائدة في عالمنا العربي الإسلامي تفصل المعنى عن صانعه، فالحق ليس ما يفهمه المرء بحسب سياقه، زمانا ومكانا، وإنما هو منتج موضوع في ما عُذ منبعا الأصلي، فإن اختلف فهمه عن ذلك المنتج كان خطأ أو انحرافا أو ضلالا فيه بحسب درجة الاختلاف وهذا ما تجب إعادة التفكير فيه.

## الرواية الفلسطينية جغرافيا بديلة

### نهلة راحيل تعيد قراءة الذاكرة الجمعية في الأدب



شخصيات ممزقة بين العودة والشتات (لوحة للفنان سمير الصفي)

من فلسطين بطرد اليهود، أثناء أحداث النازية، واعتبار ذلك نجبة مشتركة، والهدف من تسويق هذه الفكرة هو الحصول على اعتراف متبادل بمأساة شعبين، على نحو ما عبر محمود درويش من قبل "ضحية قتلت ضحيته"، أو ما حمله استهجان إيوارد سعيد من "عدم تخطيط أحدهما لمستقبله دون الآخر"، وهذا الاعتراف الذي تسرب في الأدبيات العربية، هو ما يطمح لأن يقود إلى المصالحة في النهاية.

من فلسطين بطرد اليهود، أثناء أحداث النازية، واعتبار ذلك نجبة مشتركة، والهدف من تسويق هذه الفكرة هو الحصول على اعتراف متبادل بمأساة شعبين، على نحو ما عبر محمود درويش من قبل "ضحية قتلت ضحيته"، أو ما حمله استهجان إيوارد سعيد من "عدم تخطيط أحدهما لمستقبله دون الآخر"، وهذا الاعتراف الذي تسرب في الأدبيات العربية، هو ما يطمح لأن يقود إلى المصالحة في النهاية.

### قنوات تنشيط الذاكرة

الكتاب بما يحمله من قضايا فكرية طرحتها الرواية قابلة للنقاش، وإبرزتها المؤلفه بداب ودقة، يتوزع على قسمين وتوطئة، تطرقت في القسم الأول إلى "تظاهرات الذاكرة الجمعية في الرواية، وفيه تنصت المؤلفه بوعي شديد، إلى المقولات النقدية وتسعى للاستفادة منها تطبيقا على النص، دون مغالاة، فتأتي التمثيلات غير منزعجة عن روح النص، ورسائله المشفرة والصريحة أيضا.

وهذا يظهر واضحا في جانبين الأول؛ عبر التوطئة المقتضبة التي قدمت بها للكتاب، حيث عقدت مقارنة بين النكبة واليهودوكوست، في محاولة لاستقراء مفهوم النكبة في الوعي العربي، وما خلفته من قضايا انعكست بأبعادها المختلفة على الأدبيات الفلسطينية، وبالمثل مفهوم اليهودوكوست وتأثيراته في تشكيل العقلية الإسرائيلية، حيث سعى من عاشوا في تجربة الاضطهاد النازي لإذكاء نيران هذه الفترة، واستحضارها كلما فتر الحماس.

وهو - كما تقول راحيل - ما لم تستغله الجماعة الفلسطينية على الوجه الأمثل في تصدير مآسائهم كتعبئة توازني ما تعرض له اليهود من الأوروبيين، خاصة أن اليهود امتثلوا لظاهرة "التوحد في المعندي" فصار اليهودي نازيا له ضحايا يقتل بدلا من أن يقتل، وهو ما يمثل الفارق بين كتابتهم وكتابتنا، فصوره العرب في رواياتهم لم تخل من هذه الصورة التي جعلته شموها أشبه بالنازي، الذي يسعى إلى وضع اليهود في محرقة جديدة، فالعربي في نظره "ممثل للشر المجرد".

والجانب الثاني تمثل في سعيها لاستظهار البات المقاومة التي لجأ إليها الفلسطيني، كنوع من التصدي لمحاولات التجريب العمدي للتاريخ والذاكرة، بالجوء إلى "الذاكرة المستعارة" كما يعرفها موريس هالبواش بأنها "المخزون من الذكريات التاريخية، التي تتمثل بمفاهيم ورموز تظهر بهيئة شعبية".

فقامت بالربط بين حالتي المحو والتثبيت، من خلال التركيز على التقنيات الفنية التي أبرزتها الرواية كحيل فنية لتثبيت الذاكرة، أو صنع ذاكرة بديلة، كما تجلى في مبحث "طرائق تشكيل

الأرض بالنسبة للفلسطينيين ليست المأوى فقط، بل هي الهوية والذاكرة، ومن ثم صار التشبث بالأرض رديفا للتمسك بالهوية، والحفاظ على الذاكرة الجمعية من الاندثار، والتي يراها ميشيل فوكو "توجد في العالم، أكثر من كونها موجودة في رؤوس البشر" فلا ذاكرة من دون جماعة. وقد عبرت الأدبيات الفلسطينية عن هذا المنحى باقتدار شديد.

كوتشترتو الهولوكوست والنكبة، ربعي المدهون" ليقدم دراسة تحليلية عن النكبة وتأثيرها على الفلسطينيين كما صورها التخيل الروائي.

في الحقيقة أطروحات راحيل تؤسس لكتابة نقدية كاشفة لجرائم الصهيونية المتعلقة بطبوغرافية المكان، كما أنها مترنسة تجمع بين الوعي المعرفي (من مصادرها) بطبيعة الإشكالية والوعي النقدي، ومن ثم فهي لا تقدم موضوعاتها بناء على رؤية أحادية، أو حتى موقف انفعالي، بل تستغل في المقام الأول بقراءة الصورة متكاملة، وحتى ولو لم تظهر المقارنة بشكل مباشر فإنها حاضرة بين ثنايا المتن، وهي تقرأ النصوص العربية، أو من خلال الإحالات إلى ترداداتها في مرويات الآخر، التي تتناول إشكالية الصراع العربي الصهيوني من وجهة نظر متحيزة إلى حد التطرف، ومع الأسف لا تعرف عنها شيئا.

في مؤلفها الجديد تقف الناقدة عند رواية الكاتب الفلسطيني المهاجر، ربعي المدهون "مضائر كوتشترتو الهولوكوست والنكبة" في محاولة للتأكيد على قيم الفن، ورسائله في اكتشاف بدائل لصيغ التعايش والوفاق، ما دامت الحلول السياسية غير ناجحة، وهو اختيار ينم عن تفهم لمسارات الأزمة ودقة في الاختيار، فالرواية أشبه بوثيقة مهمة أو شهادة عن مال من بقي عقب النكبة، ومن هجروا، مع تقاسمهم الشعور بالاضطراب، هذا من جانب، ومن جانب آخر بما تطرحه الرواية من صيغة للتعايش (المحتمل) بين الجانبين، ومن ثم تتجاوز الرواية روايات خطب السود اليهودي، إلى محاولة إقرار صيغة للمعايشة تنحي الصراع القديم وتطمس ميرانا طويلا من الدم المهدر.

وهو الأمر الذي يضع علامات استفهام حول هذه الرؤى، التي انتهجها ودعا إليها الكثير من الكتاب مؤخرا، فهل هذا مرده إلى الإقرار بصعوبة التمسك بمطالب من ضحوا من أجل استرداد الأرض، أم أنه اعتراف بخذلان الجميع للقضية، ففضلوا التعايش بدلا عن المنافي، خوفا من تكرار مصير من هجروا، فصار حق العودة أشبه بمسحاح رابع يضاف إلى المستحيلات الثلاثة في الثقافة الشعبية؛ الغريب أن فكرة التعايش هي فكرة صهيونية في الأساس، حيث تعالت بعض الأصوات داخل إسرائيل تنادي كما تقول المؤلفه "بمساواة طرد العرب

ممدوح فراج النابلي  
كاتب مصري

يخوض الفلسطيني حرب استعادة الذاكرة، واسترداد تاريخه التليد، الذي تسعى الآليات الصهيونية الحربية والإعلامية معا إلى طمسه، وتحريفه. ومن ثم كان الملام في الأدب كحصن أمن للحفاظ على الهوية، وكانت الرواية أكثر الفنون رسدا لهذه الإشكالية الصراعية، فجعلت من فاجعة النكبة أحد المرتكزات الأساسية لها، وهو ما جعل الرواية بمثابة ذاكرة بديلة أو جغرافيا بديلة تحفظ الهويات من الاندثار، وأيضا تقضح "الهويات القاتلة" إذا استعرتنا عنوان أمين معلوف.

### الذاكرة البديلة

تتسم كتابات الدكتورة نهلة راحيل أستاذة الأدب المقارن بكلية الآلسن جامعة عين شمس، الفائزة مؤخرا بجائزة إحسان عبدالقدوس في النقد - بصفة عامة - بانها ذات طبيعة خاصة، أولا؛ لأنها تأتي مسلحة بمعرفة علمية ودراية بطبيعة كتابات الآخر، بحكم تخصصها الدقيق، كأستاذة للأدب العربي، وثانيا؛ بانواتها النقدية المنهجية، ولغتها المنضبطة، وهذا واضح منذ كتابها الأول "النكبة والنازية في رواية الأجيال العربية والعبرية، من خلال دراسة نقدية مقارنة لروايات الطنطورية لرضوى عاشور، وكتاب الفراق الكبير لشوشي براينر".

كما سعت من خلال كتاباتها على تعددها، نقدا وترجمة، إلى تفكيك هذه العلاقة الإشكالية، وفضح كافة الممارسات العدوانية، وفي المقابل بيان أشكال المقاومة التي تبنتها الشخصيات الروائية، حتى ولو أظهر هذا انسداد أفق المقاومة، والتعلق بأخر ضوء في النفق من أجل المحافظة على الماضي.

لم تدخر الدكتورة راحيل جهدا لاستقراء هذه العلاقة، فواصلت مشروعها لقراءة الأعمال العربية بغية الوقوف على تأثيرات النكبة، في الرواية وكيف تعامل معها الروائيون وهم يرددون تأثيرها الفادح على عمليات تخریب وتشويه الذاكرة الفلسطينية، ومن ثم جاء كتابها الثاني الصادر مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان "الذاكرة الجمعية الفلسطينية: دراسة في رواية مصائر

